Arabic Renewal Journal مجلة التجديد العربي

مجلة دولية نصف سنوية محكمة شاملة تصدر عن المعهد العالمي للتجديد العربي العدد الثاني/ يوليو 2023

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

فلسفة الخير والعمل الخيري في القرآن الكريم والحديث

دراسة جينالوجيا في المفهوم والأصول والمقاصد والأبعاد

السعدية نوجدي/ جامعة ابن طفيل القنيطرة

noujdi.adiyan@gmail.com

الدكتور مصطفى بوهبوه/ جامعة محمد الأول وجدة

mostafaboh2017@gmail.com

المستخلص:

إن الهدف من هذا البحث هو دراسة جينالوجية تاريخية تقلب معاني ودلالات مفهوم الخير والعمل الخيري وتدقق جوانبهما المختلفة في المنظومة الدينية والفلسفية، بما أن القرآن الكريم نفسه يتضمن نظريات وأحكاما في المنظومات المذكورة، لتعطيه شكلا معينا يواكب الحراك الاصطلاحي في ظل موجة التطور والتغيير التي يشهدها العصر الراهن، شكلا عساه يسهل عليها تقديم إضاءات اجتماعية حول أصوله ومقاصده وأبعاده. وقد جاء هذا البحث في مبحثين اثنين، وتوصل إلى مجموعة من النتائج أهمها؛ أن العمل الخيري له صلة وثيقة بالدين وفلسفة ذاتية وموضوعية، وأن له أهدافا ومقاصد محددة وواضحة السمات في الكتاب والسنة.

الكلمات المفتاحية: الأبعاد، الخير، العمل الخيري، الأصول، المقاصد.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

Abstract

The aim of this research is to study a historical genealogy that fluctuates the meanings and connotations of the concept of charity and charitable work and scrutinize their various aspects in the religious and philosophical system, since the Holy Quran itself includes theories and provisions in the mentioned systems, to give it a certain form that keeps pace with the idiomatic movement in light of the wave of development and change witnessed by the current era, a form that makes it easier to provide social insights about its origins, purposes and dimensions. This research was carried out in two researches, and reached a set of results, the most important of which is that charity work has a close relationship with religion and a subjective and objective philosophy, and that it has specific and clear goals and objectives in the book and Sunnah.

Keywords: dimensions, charity, philanthropy, origins, purposes.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

تمهيد:

إن كل الناس في الواقع يعرفون جيدًا ما هو الخير وما هو الشر، فليست الصعوبة في أن تعرف الخير بل في أن تعمله[1]. ولعل من أبرز المسائل التي تستحق أن نعمل بها في هذه الورقة البحثية تحت مظلة هذا الضرب من القول، هي إشاعة تلك المعرفة الأولى، التي تعتبر فلسفة العمل الخيري فلسفة كونية الشيوع ومتأصلة في الديانة الإسلامية على غرار الديانات السماوية والوضعية، فهذه الفلسفة المشتركة والمبثوثة في الاجتماع البشري كانت ولا زالت في الديانة الإسلامية أغرز نشاطا وأكثر انفتاحا من غيرها من الديانات، وأكثر تفوقا وشمولا واتساقا في الدعوة إلى فعل الخير بما يتناغم مع الوجود الطبيعي والاجتماعي لعالم الإنسان بالأمس واليوم ، فكيف لا يكون الخير أكثر شمولا و" القرآن الكريم يخبرنا عن مرحلة جديدة قادمة سيكون فيها الخير أكبر وأشمل مما مضى، باستثناء المرحلة النبوية"[2]. وفي غضون هذا الإخبار نخبركم أن هذه الفلسفة التي هي قاسم مشترك بين البشر أيا كانت دياناتهم وحضاراتهم وفلسفتهم في الحياة، والتي عرفت تحولا لافتا في وسائلها وأدواتها ودوافعها بانتقالها من الإطار الفردي إلى الإطار الاجتماعي المنظم المبني على قاعدة أنها حقق من حقوق المرء، شهدت اهتماما متزايدا في السنوات الأخيرة، أفرز دراسات عديدة

[1]– دكنسن، لويس. فلسفة الخير، ترجمة رمزي حليم، مراجعة محمد بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، دار الكتاب المصري، د ت، ص 88.

[2]– غانم، إبراهيم البيومي. الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام، ضمن حديث التفاهم: المجتمع الخيري، ومنظومة القيم، ص 62.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

دفعت باتجاه معالجة متعمقة لفعل الخير وفق المنظور التخصصي لكل باحث محكوم برؤيته ونسقه الفكري وخلفياته التاريخية وأعرافه الخاصة. وفي ظل تعالي هذه الدراسات قررنا دراسة فلسفة الخير في القرآن والسنة بطريقة مستحدثة، مستحضرين القليل من تصورات تلك النظريات وإن كنا لا نحوز معرفة كافية بها، وذلك للاستعانة بها في التفسير والتحليل، حتى نصل إلى معرفة الخير ومعرفة مقاصده وأبعاده، من خلال خطوط توضيحية نقسمها على الشكل التالي:

المبحث الأول: جينالوجيا فلسفة الخير والعمل الخيري: المفهوم والدلالة

إن منطلق الحديث عن مفهوم الخير جينالوجيا، يؤهلنا إلى اللهج بما لهج به المفكر الإسلامي الغزالي، بأنه كانت هناك في القديم محاولات لالتماس الحقائق من الألفاظ، وأن هذه المحاولات قام بها أيضا الفيلسوف "مارتن هيدجر"، وهي تستند على اعتقاد مفاده؛ أن معنى الكلمة يكمن فيها كمون النفط في باطن الأرض، فما على الباحث إلا أن يجيد الحفر التحليلي، في أصل الكلمة حتى ينبثق المعنى من داخل الكلمة ذاتها[1]. وما انبثق لنا ونحن نحفر في أصل كلمة العمل الخيري أبان أنها كلمة مركبة تتألف من لفظتين: الأولى عمل وأصلها عمل عملا: فعل فعلا عن قصد[2]. والعمل هو المهنة والفعل، والجمع أعمال، عمل عملا، وأعمله غيره واستعمله، واعتمل الرجل: عمل بنفسه واستعمل فلان غيره: إذا سأله أن

[1]– عبد الحليم، أمل مبروك." مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة"، مجلة كلية الآداب، العدد 100، ص 716–718.

[2]–عطية، شعبان عبد العاطي وآخرون. المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 4، 2003، ص 628.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

يعمل له[1]، والكلمة الثانية" الخير" اسم تفضيل على غير قياس والحسن لذاته، ولما يحققه من لذة، أو نفع، أو سعادة، والمال الكثير الطيب[2]. تركيب ينطوي فيه مفهوم العمل الخيري على معان ودلالات عديدة، فقد يدل على أنه كل جهد يبذله الإنسان بوحي من إرادته واختياره، سواء أكان جهد ذهني أم جسمانيا لتحقيق غرض نافع، أو هو عناء قد يكون تطوعيا أو رسميا يتحمله الإنسان في سبيل إشباع الحاجات سواء له أو لمن حوله[3]، وهو جهد بلا مقابل تحفزه تأثيرات ومسالك السلطة وتنظيم الجماعات أو مقتضيات العمل. وهذا تفسير لا يتعدى حلقة التوجيه أو الترتيبات التي يضعها الإطار العام أو ميكانيكية الممارسات الاقتصادية للأفراد وتأطيرا للأبعاد الحقيقية لهذا المفهوم[4]، الذي ما هو إلا ذلك النشاط الاجتماعي والاقتصادي الذي يقوم به الأفراد أو الممثلون في الهيئات، والمؤسسات، والتجمعات الأهلية ذات النفع العام، هدفه التقليل من حجم المشكلات والإسهام في حلها بالجهد أو بالفكر[5]. فكر ذهب بالبعض الآخر ليجسد حقيقة كون العمل الخيري هو قيام

[1]–ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين. لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ت، مادة عمل

[2]–عطية، شعبان عبد وآخرون، م س، ص 264.

[3]–عوض، السيد حنفي. العمل وقضايا الصناعة في الإسلام، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1416هـ/1996، ص 17.

[4]–عويدات، عبد الله. الشباب والعمل التطوعي، وزارة الشباب، عمان، 1995، ص 38.

[5]–العبدلاوي، فاتحة فاضل. العمل الخيري الإسلامي بين التأصيل وإمكانات التفعيل، ضمن كتاب بحوث مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث في الفترة ما بين 20–22 يناير 2008، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، المجلس العلمي، دبي، 2008، ط 1، مج 2، ص 557.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الأفراد بعمل غير مأجور، دوافعه العادات والتقاليد أو الدين، وما شابه[1]. وذهب بنا إلى إكمال معالم التركيب، الذي فيه عرف الخير لغويا بأنه ضد الشر، وجمع الكلمة خيور، وخيرات جمع خيرة وهي الفاضلة من كل شيء. والخير هو الكرم، والشرف، والأصل، والطبيعة[2]. والخير في الاصطلاح يدل على ما فيه نفع وملاءمة لمن يتعلق هو به، فمنه خير الدنيا ومنه خير الآخرة الذي قد يرى في صورة مشقة فإن العبر بالعواقب[3]. وعليه، يظهر أن الخير يطلق على نوعين: أحدهما: خير مطلق؛ وهو أن يكون مرغوبا فيه بكل حال وعند كل أحد، كطلب الجنة والحكمة والصدق والعدالة وهي قيمة في ذاتها، وثانيهما: خير مقيد، وهو أن يكون خير لواحد شر لآخر،[4] كالثروة والرياسة والقوة؛ فقد تكون خيرا إذا استعملت استعمالا حميدا، وقد تكون شرا إذا استعملت استعمالا رديئا. والدين هو الذي يحدد للمرء الصور الصالحة للخيرات المقيدة؛ لأن الشرع الإلهي هو الكاسب لهذه المعاني تمام الرتبة ووصف الخير[5]. وصف ارتبط فيه هذا الخير بنوع من الشعور، فلا يمكن تكوين فكرة فكرة عن الخير بالانفصال عن الشعور، لأن الخير مثلما نتصوره هو موضوع للنشاط

---

[1] –Rainman, Eva Schindler, Volunteer Adminstration: New Roles for the Professional to Make a Difference, Journal of adminstration, V.II, Colorado, Winter 87–1987, p 13.3

[2]– ابن منظور. لسان العرب، م س، ج 3، ص 261.

[3]– ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 20، ص 102.

[4]–الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، لبنان، ج 1، ص 160.

[5]الاصفهاني. نفسه، ج 1، ص 160. أبو زيد، منى أحمد، مجتمع الخير والأمة الميمونة عند العامري، ضمن حديث التفاهم، م س، ص 249.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الإنساني، فيجب أن نتصوره موضوعا للشعور. فالخير بمعناه هدفا للنشاط الإنساني يتضمن نوعا من النشاط الشعوري[1]. ففي هذا التضمن نعلم علم اليقين أن للعمل الخيري أبعادا متعددة متنوعة، وهي لا تخضع لضرب موحد؛ منها ما هو شعوري ومنها ما هو لاشعوري، وهذه الأبعاد تتشابك وتتفاعل، وينتج عنها في النهاية الإلزام الذاتي، الذي يدفع المرء لعمل الخير[2]. فماهي يا ترى أبعاد الخير ومقاصده؟

المبحث الثاني: فلسفة الخير والعمل الخيري في القرآن والسنة: الأبعاد والمقاصد

المعلوم أن للخير في الأصل فلسفة خاصة تحوي ما هو ذاتي وما هو موضوعي: فالذاتي يتمثل في التوازن النفسي، إذ تقوم الفلسفة أساسا على مجموعة من الاعتبارات التي تجول في ذهن وضمير فرد ما أو مجموعة من الأفراد تميزهم عن سواهم ممن يحملون الإطار العام للفلسفة، أو ممن هم ليسوا منها بشيء بطبيعة الحال. فقد يماري الفرد النشاط الخيري لإرضاء وتطمين بعض الغرائز والحاجات النفسية، فهو لا يجد نفسه متوازنا إلا من خلال قيامه بهذا النشاط بين الفينة والأخرى بغية تحقيق الذات. فهذه العملية الخيرية وإن لم تكن غير منظمة، وراءها الباعث النفسي وحدودها كغاية الإنسان وذاته، ولا نقصد من ذلك عدم امتداد تأثير ذلك النشاط على الآخرين[3]. وإلى جانب ذلك تتضمن هذه الفلسفة أيضا

[1]– دكنسن، لويس. فلسفة الخير، م س، ص 138–139–140.

[2]–المليي، إبراهيم عبد الهادي. الخدمة الاجتماعية من منظور تنظيم المجتمع رؤية واقعية، المكتب الجامعي الحديث، 1991، ط 1، ص 71.

[3]–عويدات، عبد الله. الشباب والعمل التطوعي، ص 42.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الرغبة في كسب شعبية وتأييد واحترام الآخرين، وهذه الرغبة تختلف عن التي قبلها من حيث الهدف الذي لا ينحصر في موضوع توازن النفس البشرية فقط، وإنما ينطلق منها ويتخطاها لتحقيق مرام ذات أبعاد اجتماعية وبالأخص الموقع الاجتماعي وما يتصل به من جوانب اقتصادية، فيتحقق ابتعاد إلى حد ما عن البواعث النفسية للعمل الخيري، أي، أن الموضوع لم يكن في نطاق بقاء بل تجاوز ذلك على نمو وبناء الكيان الفردي في المجتمع، وتجنبا للغموض فإن ما أشرنا له من رغبات تحفيزية وبواعث هي من وحي الفلسفة الذاتية للعمل الخيري[1]. أما الموضوعي، فنشأ نتيجة لتأثر القائمين بهذا العمل بجملة من الظروف والمتغيرات البيئية، التي يتأتى تأثيرها البالغ بفعل وعي الفرد واستيعابه لدوره في المجتمع فهو لا يفكر بإشباع حاجة نفسه فحسب، كما يتم ذلك في إطار الفلسفة الذاتية، وإنما ينصب تفكيره على ممارسة نشاط معين يفرضه وجوده بين الجماعة التي يعيش معها وقد تؤدي دورا مختلفا أو دورا مماثلا. وقد عرف هذا الحافز تاريخيا في المجتمعات البشرية" بالمعونة" على سبيل المثال والممثلة لواسطة العقد في تنظيم الحياة الاجتماعية في مجتمع ما، وهي بذات الوقت مجموعة من الأفعال والنشاطات المرتبطة بمعاملات الأفراد وذلك ما يطلق عليه بالعادات. وقد تظهر تلك الممارسات بحكم الرغبة في التماثل الذي يختفي وراءه الكثير

[1]– الحمادي، علي مجيد. فلسفة العمل التطوعي ومتلازمة الأمن والتنمية، دار المنظومة، 2004، العدد 117، ص 115.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

من المسببات كالخوف من العقاب الاجتماعي أو الغيرة من الآخرين أو ما شاكل ذلك[1]. إذا كان للخير فلسفة، فكيف نظر الفلاسفة لهذا الخير وفلسفته؟

إن المتأمل للفكر الفلسفي العربي، سيجد لا محالة أن الأصفهاني نظر إلى الخير نظرة فلسفية ففي مفرداته يقول:" إن الخير ما يرغب فيه كل البشر كالعقل والعدل والنفع والفضل، وضده الشر"[2]، فإذا كان الخير في نظره ونظر بعض الفلاسفة يرتبط بالرغبة، فأول معاني الخير هو ما تعلق باستعمال مفهوم الخير–بالجمع: الخيرات–وبدلالته الأولى: الخيرات الأولية، وهي تعني تلك المرغوبات التي يرغب فيها الأشخاص العاقلون، مهما كانت رغباتهم. فإنه في نظر الآخرين يرتبط بالعدل، فالعدل هو معيار الخير، ومبادئ العدل، ومن ثمة العدالة، هي التي ترسم الحدود التي تكون الإشباعات بوفقها ذات قيمة، كما تعين الحدود التي تكون بحسبها تصورات الخير ذات معقولية[3]. والبقية منهم تربطه بالله، فكلمة الخير ليس لها مدلول حقيقي إلا من حيث هي متصلة بما في الله، والخير –في معناه المطلق– هو والله شيء واحد[4]، وأن الخير الأسمى ليس شيئا آخر سوى الله نفسه؛ لأنه الخير الذي يكون جميع الخيرات الأخرى في حياة الإنسان تابعة له ومندرجة تحته. فالخير

[1] – حماد، وليد عبد الله. أثر بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية على مستوى مشاركة الشباب في العمل الاجتماعي التطوعي الأردني، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، أيار/مايو 1995، ص 2–9.

[2] –الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن، م س، ج 1، ص 160.

[3] –Rawls, Johan, Théorie de la Justice, Traduit par Catherine Audard, Seuil, Paris, 1987, p 11–57.

[4] – دكنسن، لويس، فلسفة الخير، م س، ص 121–124.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

عند مسكويه[1] علم مطلق هو عين الموجود الأعظم، وهو مقصد الأخيار جميعا[2]. هذا وتنظر الفلسفة الإسلامية إلى العمل الخيري نظرة عميقة؛ إذ تربطه بمفهوم الحرية؛ فالعمل الخيري عندما يكون عطاء بلا مقابل مادي هو تحرير للنفس إما من قيد الأثرة وحب التملك، أو من قيود الآثام واجتراح الخطايا، أو من قيد الكبر واستعلاء النفس على الآخرين مما يشاركونها الانتماء إلى أصل واحد "النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ"[3]. وبتعبير آخر، فالخير نهج يتحرر السالك بمقتضاه من رغباته وشهواته، بما ينتهي إلى الانحلال، ليبحث عن بلوغ تجليات الإيمان العملية. إذ يخرج مبتغى التحرر من حيز ذاتي إلى أفق شامل، حتى يشارف مداه باستيعاب الخير في الإيمان، ثم ليشمل كافة الخلق باعتبارهم عيال الله[4]. فالإيمان بالخير هو السبيل الوحيد إلى إشاعة النظام والاتساق في الحياة، بل على إكساب هذه الحياة معنى، فما لم يتوافر للمرء هذا الإيمان بأن ما يراه خير هو خير على وجه من الوجوه، فإن حياته تحسب سائرة لا محالة الفوضى والاضطراب، فالخير ينظم الحياة، ويشيع النظام في نزعاتنا ورغباتنا، وأننا بدونه نهبط إلى مستوى المخلوقات ذات الدوافع العمياء كما

[1] ـ هُوَ أَحْمد بن مُحَمَّد بن يَعْقُوب الرَّازِيّ أَبُو عَليّ صَاحب كتاب تجارب الْأُمَم واشتهر على الْأَلْسِنَة أَبُو عَليّ بن مسكويه وَإِنَّمَا هُوَ لقبه هُوَ ذكر ذَلِك ياقوت فِي الأدباء (ابن حجر العسقلاني، نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1409هـ ـ 1989م، ج2، ص 177).

[2] – عبد الحليم. مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة، مجلة كلية الآداب، العدد 100، ص 726.

[3] – مسند الإمام أحمد، رقم الحديث 10780.

[4]، عناية، عز الدين. الإيمان وعمل البر والإحسان، ضمن حديث التفاهم المجتمع الخيري ومنظومة القيم، م س، ص 88.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

هو الحال عند كثير من الناس في الواقع، فالإيمان بالخير على وجه من الوجوه هو الذي يقرر خط سير المرء في الحياة[1]، فلا إيمان للذات إلا بدمج الغير في حيزها وضمه إلى حرمها؛ إذ" كافة الأنشطة الليتورجية[2] التي يؤديها المؤمن تتوجه بالضرورة إلى إظهار التناسق بين الانضمام إلى الدين والسلوكيات النابعة منه، بغرض تقوية النجاعة الاجتماعية للرسالة"[3]. وقد بلغت هذه الدلالة في المنظور القرآني مداها بربط الإيمان وإيتان العمل الصالح بأحقية الاستخلاف (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ) (النور: 55). استخلاف من شأنه أن يشي بأن هناك من يعتبر الإسلام هو الدين الأمثل الذي تنبع منه فلسفة العمل الخيري داخل الجماعة المؤمنة، فله كبير الأثر في بلورة حزمة من الحوافز والقيم الفاعلة في ذاتها. ذلك أنه كي تعيش الجماعة عنصر الخير بشكل فاعل، ولا يبقى في حيز الإدراك المفارق، لزم أن يتجلى في مدلول نفعي خيري يستشعره المرء في دنياه، بما يوحي إليه أنه يوجد ضمن كيان جماعي راع يكون فيه مصادقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم "المؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[4]. من هذا الباب كان الإيمان على صلة وثيقة بالبر والإحسان وبفعل الخير

[1]– دكنسن، لويس. نفسه، ص 27–35–37.

[2] . يقصد بها العبادات والصلوات

[3]–أكوافيفا، سابينو وغنزو باتشي. علم الاجتماع الديني، ترجمة عز الدين عناية، كلمة، أبو ظبي، 2011، ص 105

[4]. صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتراحمهم، رقم الحديث: (2586).

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

وبالنفع، وبالأخلاق الموروثة من السجل المحمدي" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1]؛ أي أنها منتوج لتراكم معرفي وقيمي وروحي شاركت في تحقيقه مختلف العقائد والديانات، وذلك في سياق مسعى تاريخي يهدف إلى بناء الإنسان الكامل، وإقامة نموذج المجتمع الخيري، الذي وصفه بعض المثقفين الإسلاميين الحركيين" بالمجتمع الرسالي"[2] الذي يتعامل مع الله كمجتمع سائر في طريق الخير[3]. فالمجتمع هو الحالة التي لا غنى عنها للجميع على السواء لتحقيق الخير الفردى. وحالة الخير التي يشترك فيها الجميع هي خير عام بوجه من الوجوه. ومهما يكن ما يهدف إليه الناس عامدين، سواء كان الخير الخاص أو الخير العام، أو مزيجا متفاوتا منهما–وهو الأرجح– فإن الحقيقة الماثلة هي أنهم لا ريب يسلمون، وأننا نسلم معهم بخير عام هو المحافظة على المجتمع نفسه والنهوض به[4] وبناء صرح عمارته. فالخير له صلة وثيقة بعمارة البلدان أيضا حسبما قاله ابن هذيل[5] : "إن كل خصلة من خصال الخير، وخلة من خلال البر، وشيمة تعزى إلى مكارم الأخلاق، وسجية تضاف إلى

[1] ـ مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: (8952).

[2]–الجورشي، صلاح الدين. المجتمع الخيري وفعالية منظومة القيم في التجربة التاريخية للأمة، ضمن حديث التفاهم، م س، ص 180.

[3]–غلاب، عبد الكريم. مجتمع المؤمنين من هدي القرآن الكريم، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1988، ط 1، ص 150.

[4]– دكنسن، لويس. فلسفة الخير، م س، ص 51.

[5]– هو علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري: أديب أندلسي، من علماء الاجتماع. من كتبه "عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة"(الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، ج4، ص 299).

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

محاسن الطبائع والأعراق؛ فهي واقعة على اسم الكرم"[1]. وتظهر هذه الصلة في قول ابن الجوزي:" إذا اتسع الرزق كثرت الخيرات، وإذا كثرت الخيرات عمرت البلدان"[2]، فعمارة البلدان من المقاصد التمدينية للشريعة الإسلامية، فكلما كان الإنسان خيرا، ومحبا للخير، كان أقدر على الإبداع والابتكار والتجديد وإفادة البشرية وإعمار الأرض. يقول ابن سينا: عن الخير هو "ما يتشوفه كل شيء، ويتم به وجوده"[3]. وجود أصبحت فيه مؤسسات العمل الخيري مؤشر من مؤشرات التطور، ونمو المؤسسات في الأمة الإسلامية يقاس به وعيها وتقدمها[4] العمراني والثقافي. فلا أحد يستطيع أن ينكر أن أغلبية صور العمل الخيري في بعدها الحضاري أسهمت في تمدن المجتمعات الإسلامية وفي بناء حضارتها الشامخة قد تجلت في نظام الوقف في معظم مراحل تاريخ هذه المجتمعات، فمن خلاله وبتمويل منه نشأت أغلبية مؤسسات العلم والثقافة[5].

---

[1]–ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن. عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص 105.

[2]–ابن الجوزي، سبط. الجليس الصالح والأنيس الناصح، دار رياض الريس، لندن، 1989، ص 67.

[3]–غانم، إبراهيم البيومي، الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام، ضمن حديث التفاهم المجتمع الخيري ومنظومة القيم، م س، ص 58.

[4]– القيصر، توفيق بن أحمد. آلية استقطاب المتطوعين من شرائح المجتمع المختلفة، اللقاء السنوي الرابع للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية بعنوان استقطاب المتطوعين للعمل في الجهات الخيرية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1425هـ، ص 63.

[5]–غانم، إبراهيم البيومي. الأبعاد الإنسانية في الأعمال الخيرية، مجلة حراء، دار الفقيه، أبو ظبي، العدد 15، 2009، ص 35.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

بعد كل هذا البيان فمن نافلة القول، إن كنا نتحدث هنا عن العمل الخيري من منظور الفكر العربي الإسلامي، فهذا المنظور يرى أن العمل الخير ينبثق من عقيدة إيمانية راسخة، هي العقيدة الإسلامية التي سبقت جميع المبادئ الوضعية في الدعوة إليه، وبتضمنها مشروعا متكاملا له، فهناك العديد من الألفاظ التي وردت في القرآن والسنة بلفظ الخير نفسه، وألفاظ أخرى تحمل مضمونه، مثل الحث على التكافل، التعاون، التضامن، الصدقة، الزكاة، البر، الإحسان، الرحمة، تفريج الكرب، إغاثة الملهوف، عمل الخير، القرض الحسن، الإنفاق في سبيل الله[1]، والمعروف، فتشترك كلمتا الخير والمعروف في معنى العمل الخيري القائم على تقديم النفع وإيصاله للآخرين والإنعام عليهم بما يرغبون فيه، ويحتاجون إليه[2]. فبالإضافة إلى ذلك فالخير كتعبير حديث يدل في تراث الفكر العربي الإسلامي على معنى قديم: مثل الملكية؛ ملكية المال أو الأرض، أو حق الفقراء في أموال الأغنياء في مؤسسات مثل الزكاة والصدقة وبيت المال، والغنائم كما يأتي مع من يستحق خمس الغنائم (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ) (سورة الأنفال: 41)، وفك الرقاب، ووسائل إعادة توزيع الثروة وتذويب الفوارق بين الطبقات، وحقوق

[1]– ملاوي، أحمد إبراهيم. دور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية الشاملة، بحث مقدم إلى "مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث"، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، 20–22 يناير 2008، ص 5. القرضاوي، يوسف. أصول العمل الخيري في الإسلام، م س، ص 25.

[2]–المطوع، عبد الله. العمل الخيري المؤسسي دراسة وصفية ميدانية على مؤسستين خيرتين في المملكة العربية السعودية، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2008، ط 1، ص 64.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

الإنسان، وحق الجار، وحق السائل والمحروم، والتكفير عن الذنوب، سواء بتحليل ألفاظ مقاربة مثل أبناء السبيل والفقراء في الكتاب والسنة، أو بعرض مؤسساتها في الفقه[1]، ومثل ذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن والمشردين نتيجة الكوارث الطبيعية، وضحايا الحروب والإجرام وغيرهم. فهذه الدلالات كلها تدل على أنه مشتق من لفظ قديم كفل بمعنى الرعاية والتعهد، والتكافل يمثل مجموعة من الأعمال الخيرية التي يقوم بها بعض الأشخاص الذين يتحسسون آلام الناس وحاجاتهم، الأمر الذي يدفعهم لتقديم التبرع بجهودهم وأوقاتهم وأموالهم لخدمة هؤلاء بهدف تحقيق الخير والمنفعة لهم[2]. فبالقدر الذي تعددت به ألفاظ الخير ودلالاته، توسعت صوره في السنة ليشمل كل مناحي السلوك الخيري، الذي حدده الحديث النبوي" تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة"[3]. ثم يأتي الحديث الذي يجمع كل صور معاني الخير في قول النبي صلى الله عليه سولم: «على كل مسلم صدقة» قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال «يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق» قال قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف» قال قيل له:

[1]–حنفي، حسن. مفاهيم العلم والعمل والتكافل الاجتماعي في الفكر العربي الإسلامي، م س، ص 31.
[2]–ملاوي، أحمد إبراهيم، دور مؤسسات المجتمع المدني في التنمية الشاملة، م س، ص 6.
[3]–سنن الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في صنائع المعروف، رقم الحديث: 1956.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يأمر بالمعروف أو الخير» قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «يمسك عن الشر، فإنها صدقة»[1]. وعلى الرغم من أن حقيقة الخير أوسع من جميع هذه الصور والأصناف الرائعة التي ذكرت، فإنها في حقيقتها ما هي إلا أمثلة سلوكية فريدة ورائعة لمقاصد العمل الخيري، الذي منحه الفقه مشروعيته وحث على فعله وتقويته، قال مالك بن دينار:" إن صدورا المؤمنين تغلي بأعمال البر، وإن الفجار تغلي بالفجور، والله يرى همومكم فانظروا ما همومكم رحمكم الله"[2]. وقال الحافظ ابن رجب:" الأمر بالإحسان تارة يكون للوجوب كالإحسان للوالدين والأرحام بمقدار ما يحصل به البر والصلة والإحسان إلى الضيف بقدر ما يحصل به قراه. وتارة يكون للندب كصدقة التطوع ونحوها"[3]و"الصدقة متى أطلقت في القرآن، فهي صدقة الفرض"[4]. وتوجب لنا عند هذا الحد الانتقال إلى القرآن الكريم، الذي جاء ليبين لنا صراحة أن لفظ الخير ورد فيه مئة وثمانين مرة، فلفظ أخيار وخيرات وخيرة ورد ثماني مرات في سياقات متنوعة تربط الخير بجوانب أساسية من الحياة المدنية التي يعيشها الناس، كما ورد في بعض الحالات ضمن سياقات أقل عددا تربطه

[1]–صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم الحديث 1008.

[2]–الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، مصر، 1996، ص 288.

[3]–ابن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق ماهر ياسين الفجل، دار ابن كثير، دمشق، 2008، ص 362.

[4]–القرطبي، أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006، ط 1، 245/10. ص 46

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

بالحياة الآخرة[1]. والخير في كل هذه السياقات جاء معبرا عن عدة صفات جميعها تصب في معنى الخيرية، ومن ذلك قوله تعالى(وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ) (الأنبياء: 73)، أي فعل الطاعات على حد تفسير القرطبي[2]، وقوله (وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ) (الحج : 77)" وافعلوا الخير" أي ما هو خير وهو أعم من الطاعة الواجبة والمندوبة وقيل المراد بالخير هنا المندوبات ثم علل ذلك بقوله:" لعلكم تفلحون" أي إذا فعلتم هذه كله رجوتم الفلاح، وفي هذا إشارة إلى دخول الجنة ليس مرتب على هذه الأعمال مثلا، بل هذه الأمور كلفنا الله بها شرعا، وأما قبولها شيئا آخر يتفضل الله به علينا[3]. ونتفضل هنا بإخباركم بأن الخير وعمله مقصد عام وثابت من مقاصد الشريعة؛ وذلك بدلالة ما اتبعه الله من أسلوب بديع في ترسيخ ثقافة الخير وتأصيلها تأصيلا شرعيا من خلال صيغ قيمية متكاملة ومتنوعة. ومن الصيغ القرآنية التي تحض على فعل الخير قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ) (الحج: 77)، فالمسلم مثلما هو مطالب بالركوع والسجود والعبادة، فهو مطالب بفعل الخير بصفة جماعية، ومأمور أيضا بفعله بصفته أعم من العبادة (وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ

[1] غانم، إبراهيم البيومي، الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام، ضمن حديث التفاهم المجتمع القيمي ومنظومة القيم، م س، ص 64.

[2] –القرطبي، أبو عبد الله محمد. الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ط 1، ج 11، ج 2، ص 259–305.

[3] –القنوجي البخاري. فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ط 1، ج 3، ص 200.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ) (آل عمران: 104). ففلاحهم يتوقف على فعل الخير؛ لذا وجب عليهم في هذه الحالة التخلق بهذا الخلق فإذا تخلقوا به تكونت الأمة المطلوبة، وهي أفضل الأمم. وهي أهل المدينة الفاضلة المنشود للحكماء من قبل، فجاءت الآية بهذا الأمر على هذا الأسلوب البليغ الموجز"[1]، وجاءت السنة النبوية بالوصايا المحمدية التي تحض على فعل الخير، قال صلى الله عليه وسلم: " كل معروف صدقة"[2]. كما حض النبي صلى الله عليه وسلم على المبادرة بفعل الخير ولو كان شيء هين جدا، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:" لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"[3]، واعتبر الساعي في عمل الخير كالنخلة في عطائها وثباتها وجمالها وحلاوة ثمارها، وكالشمعة التي تضيء الطريق للآخرين وتضحي من أجل إسعاد الآخرين[4]. وتضيء ذلك الطريق الذي ورد فيه أن القرآن الكريم لم يكتف بالدعوة إلى فعل الخير، وإنما عمل على الترغيب فيه والسعي إلى تحقيقه، ودفع الجميع من أجل التنافس على القيام بالخيرات (أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ) (المؤمنون:62). وبهذا يكون الله قد مدح المسارعة في فعل الخيرات وأثنى

[1]–ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 4، ص 38.

[2] ـ صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: بيان ان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم الحديث :(1005). وصحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: كل معروف صدقة، رقم الحديث: (6021). صححه الألباني. (الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، ج2، ص 837).

[3]ـ صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب طلاقة الوجه، رقم الحديث: (2626).

[4]– القدومي، عيسى. أسس العمل الخيري وفنون تسويقه، الكويت، 2009، ط 1، ص 36.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

على المسارعين فيها[1]. فالمسارعة في العمل الخيري والتنافس فيه خلق إسلامي نبيل حسبما قال محمد عزت:" فعل الخير والدعوة إليه من أمهات الأخلاق والمبادئ التي قررها القرآن وندد بالذين يشحون عليه أو يمنعونه"[2] في الآية القائلة: (وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ) (القلم: 10-12). فمنع وجوه الخير هو صفة من صفات المكذبين (أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧) (الماعون:1-7). وفي السياق ذاته قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لكل عمل شره، ولكل شر فترة؛ فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك هلك"[3]. واهتدينا بدورنا إلى أن العمل الخيري بكل صوره أمر به الشارع الحكيم، والأمر به يستلزم قصد الشارع إلى وقوع ذلك الفعل والنهي يستلزم القصد إلى منع وقوع المنهي عنه"[4]. وقد أثنى عليه أيضا. والثناء على الشيء دليل على أنه حسن؛ لأن فيه حثا وتحريضا على القيام به. وذم المانعين له والداعين إلى نقيضه، وذم الشيء دليلا على أنه قبيح منفر عنه

[1]-الدمشقي، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1991، طبعة جديدة منقحة، ج 1، ص 59.

[2]-دروزة، محمد عزت. التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ، ج 6، ص 88.

[3]- الخافظ شهاب الدين البوصيري، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، كتاب: الإيمان، باب: عرى الإسلام وشرائعه وضراوته وشرت، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ط 1، 1999م، ج1، ص 95.

[4]-الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي. الموافقات، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار بن عفان، 1997، ط 1، ج 3، ص 374.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

أشد التنفير من النهي[1]. وما نهى عليه إلا لعواقبه الوخيمة (وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ) (ق: 23-25).

وبإزاء هذه الوجوه الدينية من النظر، لزم علينا القول إن الخير في ذاته له في القرآن خمسة مقاصد وأبعاد كبرى هي: الحرية، والتمدين، والسلم الأهلي، ومحاربة الفقر، والإسهام في بناء المجال العام. وهي مقاصد تنقل العمل الخيري من حيز التشريع إلى حيز المشروعات، أو من حيز النظرية إلى حيز الفعل والتطبيق، فمن دون انتقال المقصد إلى التطبيق لا قيمة له، وسيكون قطعة محفوظة لا تغني ولا تسمن من جوع[2]. ومقصد الشريعة الأعظم من العمل الخيري في هذا الانتقال التطبيقي هو الإنفاق، الذي يعني إقامة مصالح ضعفاء المسلمين ولا يحصل منه مقدار له بالا إلا بتعميمه ودوامه لتستمر منه مقادير متماثلة في سائر الأوقات وإنما يحصل التعميم والدوام بالإنفاق عن الفاصل عن حاجات المنفقين فحينئذ لا يشق عليهم فلا يتركه واحدا منهم، ولا يبخلون به في وقت من أوقاتهم، وهذه حكمة بالغة وأصل اقتصادي عمراني[3]. ولذلك كانت المداومة على فعل الخير من أحب الأعمال إلى الله بدليل الحديث النبوي" أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل"[4]. ولا بد

[1]-الكحلاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، أبو إبراهيم الصنعاني. أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل، تحقيق القاضي حسين بن أحمد السياغي وحسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ط 1، ص 353.

[2]- غانم، إبراهيم البيومي، الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام، م س، ص 67-68.

[3]-ابن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير، م س، ج 2، ص 351.

[4]- صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: الجلوس على الحصير ونحوه، رقم الحديث: (5861).

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

من أن نشير هنا، أن الإنفاق هو أحد الأبعاد والمقاصد المقومة للعمل الخير التي نجملها فيما قاله الشيخ عبد الله بن جبرين:" إن العمل الخيري يقوم على إخلاص العاملين، ونصحهم للمسلمين، وطلبهم الأجر من الله تعالى، وكذا ترغيبهم لأهل الخير في النفقة وإمداد المستضعفين، والتبرع لصالح المسلمين، وكذا الحرص على بذل الوقت في العمل المتواصل الذي يحصل به نفع الإسلام والمسلمين كصلة للفقراء وكفالة للأيتام وصدقات على ذوي الحاجات وتخليص لذوي الفاقات، وإطلاق للمساجين، ووفاء عن الغارمين، وتشجيع للمعلمين والدعاة في الداخل والخارج، ومساهمة في الأعمال الخيرية، وبذلك يكون العمل الخيري ناجحا"[1]. ونجاحنا لن يتم ما لم نخبركم بأن هناك من يحصر مقاصد الخير في صفتين فقط " مقاصد الخير في القرآن واضحة لا لبس فيها، وهي تتمثل في صفتين مركزيتين هما: الشمول، والأفضلية؛ فالخير الذي جاء في سياقات متنوعة بقدر تنوع سياقات الحياة المدنية الدنيوية، والدينية والأخروية. وباستقراء تلك السياقات عرفنا أن معنى "الخير" في القرآن له صفة الشمول"[2]، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع، وصفة هذا المعيار تتحقق على وجهين: الوجه الأول وهو شمولية الخير، وتتجلى في تقديم المسلم الخير لكل من يحتاجه سواء كان قريبا أو صديقا أو كافرا أو مسلما؛ وذلك عملا بقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ

[1]– القدومي، عيسى، أسس العمل الخيري وفنون تسويقه، الكويت، 2009، ط 1، ص 38.
[2]–غانم، إبراهيم البيومي، الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام، م س، ص 59

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ) (البقرة: 215).

وهذا التجلي يشمل حتى الحيوان (وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ) (الأنعام: 38). والوجه الثاني هو شمولية الرحمة المتجلية في القول النبوي" والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تراحموا، قالوا بلى يا رسول الله كلنا رحيم. قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكن رحمة العامة"[1]، فهذا القول يدل على أن الرحمة اتسعت لتشمل جميع خلائق الله دون تفريق في الدين الإسلامي. أما مقصد الأفضلية، فلا يوجد فيه أفضل من الخير الذي استوعب القرآن الكريم معانيه بدلالتها اللغوية والاجتماعية التي عرفها لسان العرب في الجاهلية قبل نزول الوحي، ثم انتقل بها إلى معان جديدة، وتدرج بها إلى أن استقرت في معنى الأفضل في ميزان الله وبمقاييس القرآن ذاته. وبتحليل دلالات "الخير" ومقاصده القرآنية العليا عرف بأنه "الأفضل قولا وعملا، الذي يحمد صاحبه شرعا"[2]، فالخير هو أسمى وأفضل المطالب الإنسانية بالإطلاق، كاللذة والسعادة وإن كان مطبوعا بطابعهما، لأن القيام بواجب الخير وفعله يؤدي إلى تحقيق النفع، وبالتالي السعادة. فمهما اختلفت فضائل المطالب الإنسانية فهي ليست إلا أسماء لفضيلة الخير التي هي رأس وعمود تلك المطالب، ومعيار من معاييره السهلة والبسيطة مثلها في ذلك مثل الغريزة التي لا تخطئ، ونهج الطبيعة، وعلى هذا يعرف الخير بأنه الغاية التي تتجه إليها الطبيعة،

[1]–المستدرك الحاكم، كتاب البر والصلة، 185/4.

[2]– غانم، إبراهيم البيومي. الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام، م س، ص 59.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

والعرف الجاري وهو اللذة أو أعظم سعادة لأوفر عددا[1]، فالغاية القصوى التي ينبغي أن يتوجها إليها الإنسان في كل حياته هي السعادة، التي يقصد بها قناعة النفس وطهارتها، لذلك فقد ترتب على مبدأ معرفة النفس، النظرية الأخلاقية التي تتلخص في أن الفضيلة علم والرذيلة جهل، فجهل الإنسان بالخير هو وحده مصدر الشقاء والشر، وإذا كان الخير يرتبط بالسعاة فإن الشر يتحد بالشقاء[2]. والفضيلة التي علينا البوح بها هنا، أن العمل الخيري كعنصر جوهري الذي تلتئم حوله مجموعة أخرى من الأبعاد والمقاصد الدينية ذات الطابع التشريعي في تداخلها مع الأبعاد الإيمانية والاجتماعية، تداخل يبرز سمته المتجلية في التعبير عن عمق الدين الإسلامي وروحه، ومن تلك المقاصد والأبعاد التي تلتئم بالخير بشكل وثيق، الكليات الخمس: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وهي كليات ضرورية لقيام مصالح الدين والدنيا[3]، لذلك أوجبت الشريعة المحافظة عليها من خلال أمرين اثنين:" أحدهما: ما يقيم أصل وجودها على سبيل الابتداء والإبقاء على سبيل الدوام، وثانيها: ما يدفع عنها الإخلال الذي يعرض بدفع القواطع"[4]. ويدفعنا إلى التنبيه بأن المبحث الأسنى في الشريعة هو مسألة المصلحة، فإذا كان تحقيق هذه المصلحة هو مدار نظرية

[1]– دكنسن، لويس. فلسفة الخير، م س، ص 12–13–15.

[2]–عبد الحليم، أمل مبروك، مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة، مجلة كلية الآداب، العدد 100، ص 723.

[3]– الشاطبي، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الموافقات، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن عفان، ج 2، ص 18–31.

[4]–الشاطبي. الموافقات، م س، ج 1، ص 324.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

المقاصد العامة للشريعة الغراء حسبما ذهب أغلب علماء المقاصد؛ فإن الخير وفق مفهومه القرآني هو وسيلة من وسائل المقاصد لإدراك المصلحة، ولا يبلغ تحقيق المصلحة أعلى مراحله الإنسانية إلا في مجتمع الخير العام الذي يقع في صميم الرسالة التي تحملها الأمة الإسلامية للعالم؛ فباعتبارها" خير أمة" يجب عليها أن تفعل الخير وتدعو إليه حتى تستريح البشرية كلها في ظلال الخير بمعاييره القرآنية[1].

الخاتمة

كانت هذه نبذة موجزة لفلسفة مفهوم الخير والعمل الخيري في القرآن والسنة، نبذة توصلنا من خلالها إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يأتي:

نتائج البحث:

أولا: أن العمل الخيري له ارتباط وثيق بالدين وفلسفة ذاتية وموضوعية.

ثانيا: أن للعمل الخيري أهداف ومقاصد محددة وواضحة السمات في الكتاب والسنة.

ثالثا: أن هذه المقاصد الخاصة بالعمل الخيري قابلة للتطبيق على أرضية المجتمع لو التزمنا بها.

[1]–غانم، إبراهيم البيومي. الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام، م س، ص 58.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

لائحة المصادر والمراجع

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر. التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء، د ت.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك. كتاب الصلة، تحقيق السيد عزت العطار، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2007.
- ابن زيدان، عبد الرحمن بن محمد السجلماسي. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ط 1.
- ابن عسكر، محمد بن علي. دوحة الناشر، دار المغرب للتأليف والترجمة، المغرب، 1975، ط 2.
- ابن قنفذ، أبي العباس أحمد الخطيب، أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، د ط.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

- ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين. لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ت.
- الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، لبنان، د ت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، 1423هـ/ 2002م.
- بن رحو، عبد اللطيف. العمل الاجتماعي في عهد الدولة المرابطية 1244م-1465، مفاد مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات، 2022، ط 1.
- بنعلة، مصطفى. الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين من خلال حوالات تارودانت وفاس، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، 2007.
- بوهبوه، مصطفى. العمل الخيري التطوعي أصوله وأبعاده المقاصدية، مفاد مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات، سلسلة كتب إلكترونية: 2، 2020، ط 1.
- البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، تحقيق عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد، الرياض، 2003، ط 1. الترميذي، محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي (الجامع الكبير)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ط 1.

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

- الجزنائي، علي. جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 2008، ط 3.
- ريوش، الحسين. الدور الاجتماعي للمرأة بالمغرب الأقصى خلال القرن 12هـ/18م من خلال وقفيات الأميرة خناتة بنت بكار، مجلة قضايا تاريخية، شوال 1441هـ/ جوان 2020م، العدد 12.
- الشايط، عبد القادر. العمل الاجتماعي في الإسلام تطبيقا وتأصيلا، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، الجزائر، جوان 2020، العدد 1.
- الضعيف، محمد الرباطي. تاريخ الضعيف (الدولة السعدية)، تحقيق وتعليق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986، ط 1.
- عرباوي، صادق. هبات المرأة الرومانية ومساهمتها في التطور العمراني للمدينة (الجزائر الرومانية)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، 2020، المجلد 34، العدد 3.
- القرطبي، أبي بكر. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2006، ط 1.
- Rainman, Eva Schindler, Volunteer Adminstration: New Roles for the Professional to Make a Difference, Journal of adminstration, V.II, Colorado, Winter 87-1987 .

ISSN Online 2697-2026 ISSN Print 2792-7369

- Rawls, Johan, Théorie de la Justice, Traduit par Catherine Audard, Seuil, Paris, 1987 .